

A socio-anthropological reading of the contemporary research trends of the religious phenomenon in the Islamic Maghreb



Received: 21/03/2023; Accepted: 25/10/2023

* هاجر زيادة، الربيع جصاص

جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 02 الجزائر

قراءة سوسيو- انتروبولوجية للتوجهات البحثية المعاصرة للظاهرة الدينية في المغرب الإسلامي

ملخص

الكلمات المفتاحية:

دين؛
تدين؛
مغرب عربي؛
تحليل؛
دراسة؛
معاصر؛
عقل ديني.

تأتي هذه الورقة العلمية كمحاولة لحصر التناولات البحثية لظاهرة التدين كمعطى إجتماعي حديث، بهدف تزويد الباحثين و المهتمين بالتداولات المعاصرة للمفهوم، و إلقاء الضوء على اهم الحقول المعرفية التي عرضت الواقع الديني العربي للتحليل و الدراسة، و من ثم الوقوف على اهم ما ميز هذه الدراسات من نتائج و تحليلات، و ذلك عبر قراءة تحليلية لعينة من الدراسات في الوطن العربي و بخاصة دول المغرب العربي.

Abstract

This scientific paper comes as an attempt to limit research approaches to the phenomenon of religiosity as a modern social given, with the aim of providing researchers and those interested in contemporary deliberations of the concept, and shedding light on the most important fields of knowledge that presented the Arab religious reality for analysis and study, and then standing on the most important characteristic of these studies. Results and analyses, through an analytical reading of a sample of studies in the Arab world, especially the Maghreb countries.

Keywords:

religion;
religiosity ;
Maghreb;
analysis,
study;
contemporary;
religious mind.

* Corresponding author, e-mail: hager24@gmail.com

Doi:

I - مقدمة:

اثبتت الدراسات التاريخية للجنس البشري ان الأفكار الدينية قد رافقت كل مراحل التفكير الانساني، بل كانت من اكبر مسبباته و حتى غاياته التي عاش من اجلها، و من ثم ساهمت في تشكيل رؤيته الكلية اتجاه الكون و الحياة، التي انطبعت على معظم ثقافته و عاداته الإجتماعية الممارسة، لذلك كان موضوع الدين من المواضيع المهمة على طولة النقاش العلمي، حيث ارتكز رواد علم الاجتماع الأوائل على دراسة الأصول الدينية و كيفية تشكيلها -دوركايم- أو على تحليل مقارن للأديان -ماكس فيبر-.

و لازال الدين يحتل مكانة مهمة لدى الباحثين، بل و صناع القرارات ايضا لشتى الأغراض، إلا ان مسار الشعوب نحو الحداثة و العصرية أثر على كل مخرجات منظومة القيم، ما خلق محاولات بحثية و فكرية تناقش موضوع الدين في سياقات العلم المختلفة، و تستدعي استخدام المفاهيم و الأدوات المنهجية المتنوعة للوصول لفهم عميق لأبعاد الظاهرة الدينية.

الأمر الذي جعل المفكرين المجددين العرب يصرون على بحث الدين من منظور العلوم الإنسانية و الإجتماعية، كالفلسفة و علم النفس، علم الاجتماع و كذا الأنثروبولوجيا أمثال: مالك بن نبي و محمد ركون، و إخراج الدراسات الدينية العربية من رفوف و خزائن تلقين الشريعة و الفقه الديني، و ذلك بغية فهم العقل الديني للمجتمع، ثم مساعدته على التأقلم مع واقعه، حيث تعد الدراسات البيئية و العابرة للتخصصات أنسب الفروع، لدراسة الحقول المعرفية الحديثة للظاهرة الدينية في بيئتها المعقدة، اين أضحي المجتمع بكل اطيافه و ظواهره جسما حيويا للمخبر الإجتماعي.

إن الحفاظ على نمط معيشي ثابت يحترم التقاليد و الاعراف الإجتماعية و القواعد الدينية، و يواكب في آن واحد سرعة التحولات الحاصلة و المعروفة بإسم الحداثة، من غير تماه و لا تغيير في أصوله الدينية، هو مطلب كل أمة و مجتمع، ما جعل بعض المحاولات الشعبية و حتى النخبوية تصل من أجل هاته الغاية إلى درجة التطرف الديني، في سبيل الوصول للرضى الديني المنشود، مستخدمين في ذلك كل طرق المحاربة الملموسة و المعنوية من اجل الحفاظ على الهوية الإسلامية، و هذا ما أسفر عن ظواهر متعددة تندرج كلها تحت إطار ظاهرة التدين.

حيث بات من الضروري المساهمة العلمية الجادة في فهم المتطلبات الإجتماعية و الثقافية لهذا المجتمع، من أجل بناء صورة تشريحية لواقعه، و الوصول إلى صياغة طرق متجددة للفهم و التطبيق بناءا على متطلبات العصر، و المحافظة في نفس الوقت على أصول الدين الكلية و مبادئه، فهل استطاعت الدراسات المعاصرة أن تصل إلى تصوير مشهد واضح لظواهر الدين و التدين في المغرب العربي؟ و هل توصلت هذه الدراسات إلى المساهمة في بلورة حلول و مقترحات لهذا الطرح؟

II - الطريقة والأدوات :

أولا: لمحة مقتظبة عن دول المغرب العربي:

هي منطقة تقع في شمال أفريقيا، ممتدة على ساحل البحر الأبيض المتوسط وحتى المحيط الأطلسي . حيث تقع دول المغرب العربي شمال القارة الإفريقية، بين خطي العرض 15° و 37° شمالا، وخطي الطول 17° و 25° شرقا، وهي منطقة جغرافية تضم ستة دول ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا و الصحراء الغربية . (وتبلغ مساحتها 6 ملايين كم²). يحد دول المغرب العربي شمالا البحر المتوسط، وجنوبا مالي وتشاد والنيجر والسنگال، وشرقا مصر و السودان، وغربا المحيط الأطلسي). المغرب العربي(2019) ،

1- أما عن اصل السكان :

فقد سكنها قديما البيزنطيون و هم امتداد للرومان و كانت لهم الغلبة السياسية، سكنو المناطق الساحلية و المدن الإدارية، الافارقة و سكنو بدورهم المناطق الساحلية و هم اخلاط من الروم و بقايا الفينيقيين من البربر و ممن تزاجو ، و البربر و هم السكان الأصليون للمنطقة و عرفو كذلك بالموريون و الليبيون (العثماني، 2016).

2- اما في الزمن المعاصر:

فيتشكل سكان بلدان المغرب العربي من عنصر عربي و أمازيغي، و يتغلب سكان المغرب- البلاد- بأغلبية عربية والتي تقدر بحوالي 25 مليون عربي من مجموع سكانه الذي يبلغ 33 مليون ن حسب احصاءات 07/2016، كما يوجد بضع مئات آلاف من الأوربيين مثل الاسبان و الفرنسيين و اليهود، اما الجزائر فمكونة من عرب و أمازيغ و يبلغ سكان الدولة 43.6 مليون ن حسب احصاءات 2017. اما تونس وليبيا فأغلبية سكانهما من العرب والبقية من أمازيغ. اما موريتانيا والصحراء الغربية فأغليبيتهما من عرب و أمازيغ والبقية أفارقة. و تجمع هذه الدول روابط الدين والعادات والتقاليد والتاريخ المشترك. أما اللغات المستخدمة فهي اللغة العربية والأمازيغية ولهجاتهما، يبلغ عدد السكان الإجمالي 100 مليون ن حسب احصائيات 2018 و هم يتوزعون بشكل مختلف حسب الظروف الطبيعية والاقتصادية. اما من

الجانب الجغرافيا تعتبر الجزائر أكبر دول المنطقة مساحة و التي تشكل 55 بالمئة من مساحة المغرب العربي كله حين تبقى تونس هي الأصغر مساحة) المغرب العربي.(2019 , 3- أما عن التنظيم الديني للمنطقة قديما:

فقد عرفت المنطقة ديانات متعددة يمكن تصنيفها على صنفين : وثنية و توحيدية وان كانت عرفت أكثر بالديانة المسيحية التي أدت دورا مهما و خطيرافي مرحلة ما قبل الإسلام و هو الدور الذي اثر على المنطقة على المستوى السياسي. (العثماني، 2016، الصفحات 10-18) 4- أما في العصر الحالي:

فغالبية سكان بلدان المغرب العربي مسلمون سنة على مذهب الإمام مالك ، وهناك تواجد بسيط لمسلمين يتبعون المذهب الألباضي، وكون أن الغالبية العظمى من السكان مسلمين ، فقد جعل الثقافة الغالبة في المغرب المغربي هي الثقافة الإسلامية حيث يشكل المسلمون في أغلب بلدان الإتحاد نسبة تزيد عن 98%. كما عاشت في دول المغرب العربي مجتمعات مزدهرة من اليهود سابقا، ثم هاجروا إلى مختلف بقاع العالم بما في ذلك إسرائيل، إلا انه ظل لديهم ارتباط بثقافة بلدهم الأصلي، حيث تشير عدد من الإحصائيات أن أكبر تجمع للسكان اليهود في بلاد المغرب العربي، يتواجد بمدينة الدار البيضاء بالمغرب، و الذي يصل إلى 30 ألف يهودي، و أعداد أصغر من اليهود في تونس تصل الى 1500 يهودي، أما الجزائر و ليبيا و موريطانيا فيمنع دخولهم حسب القانون، كما تتواجد اليوم في دول المغرب العربي تجمعات من المسيحيين الأوربيين خاصة، من المتعهدين أو موظفي الشركات العالمية، القسم الأكبر منهم من ذوي الأصول الأوروبية، وهناك أيضا مجموعات من المسيحيين المواطنين في هذه الدول اعتنقت المسيحية وهي إما عربية أو أمازيغية. (wikipedia، 2022) ثانيا: المدخل النظري لمفهوم التدين:

نحاول في هذا العنصر التطرق لمفهوم التدين و علاقته بلفظة الدين حيث يعتبر مصطلح التدين من المصطلحات التي لاقت اهتماما كبيرا في ثانيا الدراسات المعاصرة، فبعد ان كانت الكلمة متصلة بكلمة الدين، اصبحت الدراسات الفلسفية و الفقهية تعتني بالتفريق بينهما، لذلك يفقدنا البحث الى التعرض لمفهوم الدين أولا لكي لا يقع اللبس في التعريف بمفهوم التدين.

1- الدين : أما الدين فيطلق لغة بفتح الدال على القرض دان الرجل أقرضه فهو مدين، و يطلق بكسر الدال على معنيين الأول : الجزاء و المكافأة و الثاني : الطاعة فيقال دان يدين دينا اي اطاعه، و منه جمع أديان .(الرازي، 1990)، أما اصطلاحا فيعرفه عبد المجيد النجار؛ هو التعاليم الإلهية التي خوطب بها الإنسان على وجه التكليف . (توري) ، و هو جملة المبادئ التي تدين بها أمة من الأمم اعتقاداً أو عملاً. (سنجق، 2019).

أما في معجم الأنتولوجيا و الأنثروبولوجيا فالدين هو وجود متواكب و متفاعل للمعتقدات و القوى فوق الطبيعة أو القوى الخارقة، أو الألوهية الواحدة أو مجموعة من الآلهة و الأفعال ذات الطبيعة البشرية ، التي تهدف إلى عقد العلاقات الخاصة بين الناس و الكائنات أو القوى الخارقة. (إيزار، 2006، صفحة مادة :الدين). و يعرف عبد الله دراز الدين في كتابه: (الدين) انه اعتقاد بوجود ذات -او ذوات - علوية، لها شعور و اختيار، و لها تصرف و تدبير للشؤون التي تعنى الإنسان، اعتقاد من شأنه ان يبعث على مناجاة تلك الذات السامية في رغبة و رهبة، و في خضوع و تمجيد، بعبارة موجزة هو "الإيمان بذات إلهية جديرة بالطاعة و العبادة". (الدراز، صفحة 52) حيث يركز المفهوم هنا على احد خصائص مفهوم الدين و هي الشعور بوجود ذات عليا تستحق الطاعة و الخضوع و التمجيد.

أما فراس السواح فقد جاء في كتابه (دين الإنسان)، إجابة على سؤاله ما هو الدين؟ أنه يتألف من من مكونات أساسية هي :المعتقد والطقس والأسطورة؛ وأخرى ثانوية هي: الأخلاق والشرائع. (السواح، 1992، صفحة 305). أما بالنسبة لدوركايم فالدين هو: نسق موحد من المعتقدات والممارسات تجاه الأشياء المقدسة، أي الأشياء التي تعتبر محرمة - المعتقدات والممارسات التي تتوحد في مجتمع أخلاقي واحد. (الإدريسي، 2010)، كما يعرفه عن طريق الفصل بين ما هو مقدس من جهة وما هو مدنس من جهة أخرى. (انتوني، 2001، صفحة 580).

أما كل من كلود بوفاي و كاميش فيعرفان الدين بأنه: هو مجموعة من المعتقدات و الممارسات المنظمة إلى حد ما و ترتبط بحقيقة ارتقائية تفوق التجربة، تمارس في مجتمع معين وظيفية أو أكثر من التالية؛ الدمج، التعرف، تفسير التجربة الجماعية، الإجابة على الطابع الوائق بنيويا في الحياة الفردية و الاجتماعية. (وليام، صفحة 182). و يظهر من خلال التعريف احتمال عدم نظامية الممارسات بالرغم من ان الإعتقادات واحدة، كما انه يركز أكثر على وظائف الدين . الحقيقة ان مفردة الدين من الكلمات التي لا يتفق على تعريفها المفكرون على وجه التحديد، أما على مستوى كونها اعتقاد ، فيطرح السؤال حول مصدرها، هل هي منزلة من إله أي قوة عليا مقدسة خارجة عن الذوات الإنسانية أو

انها جائت بفعل الإجتماع الانساني -دوركايم-؟ و على مستوى كونها ممارسات، فهل تعد الكنفوشية مثلاً ديناً وهي لا تحمل اي ممارسة مقدسة؟

حيث انقسم المفكرون الى فريقين، يمثلهم الأول مجموعة الإسلاميين الذين يشتهرون بتعريف الدين على أنه وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم إلى الصلاح في الحال و الفلاح في المال، وكذلك الغربيين أمثال سبسون الذي يرى ان الدين هو الرباط الذي يصل الإنسان بربه، و كانت الذي يعرف الدين بأنه الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية، حيث يتفق هؤلاء على ان الدين يستند إلى الوحي السماوي و كل ديانة تخرج عن ذلك ليست بديانة، أما الفريق الثاني فيمثلهم بعض من علماء الإجتماع و الآثار أمثال دوركايم و سالومون ريناك الذين يذهبون إلى حذف فكرة الأولوية، حيث يقول هذا الأخير في كتابه التاريخ العام للديانات: الدين هو مجموعة التورعات التي تقف حاجزاً أما الحرية المطلقة لتصرفاتنا . (دراز، الصفحات 33-36)

لذلك فإن الدين قد يأخذ معنى خاص حسب كل مفكر و معتقده، و سيكفيانا ان نعرفه: بأنه مجموعة من التعاليم المقدسة التي يعتقد بها المجتمع الواحد.

2- أما التدين لغة : يتدين تدينا الرجل اتخذ له ديناً . (هادية، القاموس الجديد للطلاب، 1991، صفحة 180) ، أما اصطلاحاً فيعرفه عبد المجيد النجار، بأنه الكسب الإنساني في الإستجابة للتعاليم الإلهية و تكيف الحياة بحسبها في التصور و السلوك .(توري) أما عبد العزيز بن داود فيعرفه : توجه المجتمع بأغلبه إلى التمسك بالدين تمثله نواحي الحياة و الإستثمار في صنع الحياة السياسية و الفكرية و الإجتماعية و الإعلامية و الإقتصادية بالصيغة الإسلامية التي تراها الأمة مجتمعة. (داود، 2009 ، ص18)

ويقول الكاتب نادر المتروك معرّفاً التدين بأنه: الجهد البشري الإجهادي، الجهد التديني، ولأنه بشري، يمكن أن يكون صاعداً متقدماً مبدعاً متأقلاً مع العصر وأسلته، ويمكن أن يكون العكس من ذلك. هذا الجهد التديني، ولأنه إجهادي، فهو قد يصيب وقد يخطئ، قد يُراعي قواعد الإجهاد الزمكانية، وقد يكون تقليداً مجترّاً من الآخرين (المتروك، 2007)

أما فراس السواح فيرى ان المعتقد الديني يقوم على تصور إنساني مشترك، و هو الإحساس بانقسام الوجود إلى مستويين، أو مجالين؛ المستوى الطبيعاني، وهو عالم الظواهر المحسوسة الذي يعانیه ويتحرك ضمنه الإنسان؛ والمستوى القدسي، وهو الغيب الذي صدرت عنه هذه الظواهر المحسوسة بما فيها الإنسان وأشكال الحياة الأخرى . يتصل المستوى القدسي بالكون من خلال حالة فعالية، هي قوته السارية، التي تجمع بين المستويين في دارة واحدة؛ باطنها الألوهة، وظاهرها ما لا يُحصى من الظواهر الحية والجامدة. (السواح، 1992، صفحة 306)

يقر السواح في تفسيره لتعريف الدين و المذكور سابقاً، ان المعتقد الديني عبارة عن تصور انساني مشترك، ثم يفصل بين الاحساس بالمستويين الطبيعاني و القدسي، في دائرة باطنها الشعور بالقوة العظمى الألوهة و ظاهرها ما يفرزه هذا الشعور من ظواهر في حياة الإنسان.

أما سيمل فيفترض ان الانسان يعيش في عوالم أخرى بجانب عالم الحياة اليومية و الدين هو احد هذه العوالم فضلاً عن الفن و الفلسفة و العلم، يشغل كل عالم وفق مبدأ خاص، فالحياة هي صراع دائم بين الروح و الأشكال منها مايصير ثابتاً عبر الزمن و منها ما يتحول إلى مؤسسات إجتماعية قاهرة، و انطلاقاً من ذلك يمثل الدين الدافع الحيوي ، و التدين الشكل الإجتماعي الذي يسعى إلى الإستحواذ و السيطرة على الأول فكل فرد ينجذب بشكل عفوي إلى المعاني الرمزية التي تتيحها له الدائرة الدينية وبالتالي فالتدين عبارة عن تجربة ذاتية عن علاقة بشيفرة غريبة للحياة نفسها، و هذه الشيفرات التي تصوغها الأشكال الإجتماعية للدين. (باتشي، 2011، صفحة 63)

إذن يمكننا أن نعرف التدين على أنه : الشكل الإجتماعي للدين، نتج عن تفاعل التعاليم الدينية مع الثقافة المحلية لكل مجتمع، ما يفرز طريقة عيش ديني خاصة بكل مجتمع، تظهر في السلوكات اليومية و الموسمية، و التمثلات و الرموز المعبرة عن المقدس لديه.

3- التمييز بين الدين و التدين:

قد لا يظهر للوهلة الأولى الاختلاف بين الدين و التدين، الا ان الفرق بين المفردتين يظهر في كيفية التشكل، و نذكر فيما يلي التحليل العقلي المبني على المعنى و الوظيفة لكل من المفردتين ، و الملاحظ عبر الشواهد التاريخية لتطور الأديان في مجتمعاتها.

حيث أنه علينا بداية التمييز بين الدين كوضع إلهي، و التدين ككسب بشري ، و المقصود بالدين أصوله الثابتة، التي مصدرها النصوص اليقينية الورود القطعية الدلالة، أما التدين فهو معرفه و التزام بهذه الأصول، بالاضافة إلى الفروع الظنية الورود والدلالة، يقول الدكتور عبد المجيد النجار (ان حقيقة الدين تختلف عن حقيقة التدين ؛ إذ الدين هو ذات

التعاليم التي هي شرع إلهي، والتدين هو التشريع بتلك التعاليم، فهو كسب إنساني. وهذا الفارق في الحقيقة بينهما يفضي إلى فارق في الخصائص، واختلاف في الأحكام بالنسبة لكل منهما. (خليل، 2012)

أما بالنسبة لعبد الله الدراز فيرى أن الدين من حيث هو حالة نفسية *etat subjectif* هو تدين، أما إذا نظرنا إليه من حيث أنه حقيقة خارجية *fait objectif* فنقول "هو جملة النواميس النظرية التي تحدد صفات تلك القوة الإلهية، وجملة القواعد العملية التي ترسم طريق عبادتها". (الدراز، صفحة 52)

من خلال كل ما سبق نستنتج أن الدين يدل على كل معطى مقدس وثابت فهو جملة من القواعد الدينية للعبادة، أما التدين فهو معطى إنساني إجتماعي تشكل بفعل تفاعل الثقافة المحلية والوجوب الإيماني المقدس، ما يجعله عرضة للخطأ والصواب.

ثالثاً- لمحة عن الدراسات التقليدية للدين المغربي :

لا يمكننا بأي حال من الأحوال أن نورد ما جاء به الباحثون المحدثون دون أن نعرج على ما جاء به القدماء كقاعدة أو لنقل خلفية تاريخية لدراسة الدين في المجتمع، وذلك لمعرفة النفاذ التي تم التركيز عليها منذ القدم، كما ننوه أن هذه الدراسات جاءت كأبحاث علمية أكاديمية.

1- دراسة فستر مارك للتدين المغربي:

يعتبر فستر مارك من أولى الباحثين الذين درسوا المجتمع المغربي في بداية ق 20، من خلال دراساته الميدانية التي أقامها في إطار تأليف كتابه : *The origin and development of the moral ideas* (1906م) حيث تناولت أطروحة التدين المغربي لأدوار ثلاث أنماط الاعتقاد الديني ، أولها: اختلاف الدين الشعبي للمغاربة عن الدين الأرطودوكسي الفقهي، و ثانيها : التداخل بين الديني والسحري داخل الطقوس الدينية ، وأخيراً الحضور القوي للبقايا الوثنية داخل المعتقدات الدينية و الممارسات المرتبطة بها. (منديب، 2006، صفحة 19) ، حيث لم تعمل الدراسة إلا على إثبات ما افترضه .

اجمع معظم الدارسين لإدوارد فستر مارك على أن المنطلقات النظرية لهذا الباحث كانت كلاسيكية جداً لم تتجاوز عتبة عصرها ، و لم تحدث أي تنوير داخل الأنثروبولوجيا، حيث ظل الباحث يتأرجح بين التطورية والوظيفية و الإنتشارية إلى حد ما مع كثير من الليونة و الإجتهد ، إذ عرف بانتقاده الشديد للتطورية الخطية الفكتورية، إذ كان يرفض الاعتقاد في التطور السريع للكائن و الثقافة، فالأحكام الأخلاقية المختلفة و الاختيارات الفردية و الأفعال الرمزية الإجتماعية كلها تدخل ضمن القنوات المتعددة للتطور. (منديب، 2006، صفحة 25)

2- دراسة ادموند دوتي و كليفورد غيرتز :

جاء في ورقة بحثية للاستاذ جمال لخوفي، من جامعة محمد الأول وجدة، موسومة بعنوان التدين المغربي في الدراسات الأجنبية : تأثير المقاربة و الإطار المنهجي على نتائج الأبحاث، تحليلاً مفصلاً للمنهجية العلمية و الخلفية النظرية لكل من ادموند دوتي في كتابه الدين و السحر بشمال أفريقيا (*Magie et religion dans lafrique du nord*) (1909) و كليفورد غيرتز في كتابه ملاحظة الإسلام (*Islam observed*) (1971)، عن طريق التساؤل عن أهمية الإطار المنهجي و الخلفية التي ينطلق منها الباحث ، مستخدماً في ذلك تقنيات المنهج المقارن . (لخوفي)

ينقسم المقال إلى عنصرين، تم التطرق فيهما لكل باحث على حدى، أما ادموند دوتي، الذي كان يفترض منذ البداية أن الممارسات السحرية و بقايا الطقوس و المعتقدات الوثنية هي أساس التدين الشعبي المغربي، و قد قام بالبرهنة عليه بشتى الأدوات و التحليلات.

أما من ناحية المنهجية فالنظرية التطورية من طبع على كل توجهاته، مستمداً خلفيته عن المدرستين الفرنسية و الإنجليزية ، حيث اعتمد على زيارته الميدانية للمغرب فتميزت كتاباته بغزارة المعطيات الإثنوغرافية و دقة الوصف ما شكل توثيقاً مهماً لمعطيات التدين الشعبي المغربي ، انتقد دوتي على أثر خلفيته المرتبطة أساساً بالإستعمار الفرنسي حيث كان يكتب تقارير موجهة "للشؤون الأهلية" ، توضح الأوضاع السائدة في مناطق معينة.

أما كليفورد غيرتز فقد أثرت مرجعيته التكوينية في الأنثروبولوجيا على تقاليد بحثه ، بخلاف دوتي، حاول غيرتز التساؤل حول نظرة المغاربة و الاندونيسيين إلى العالم وعن أساليب حياتهم في الإسلام التقليدي و كيف تغيرت هذه الأساليب في الفترة المعاصرة ، استخدم فيها طريقة المقارنة بين أربع شخصيات من البلدين، في الفترتين : المغرب: 1966-1964 و اندونيسيا: 1957-1958. عن طريق بناء و ادراك و استعمال الأشكال الرمزية التي هي بالأساس وقائع اجتماعية ذات طابع عمومي كالزواج و قابلة للملاحظة كالزراعة . (لخوفي)

و جدير بالذكر أن هذه الورقة جاءت في إطار منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط سلسلة ندوات و محاضرات، جامعة محمد الخامس بالرباط، هذه المنشورات التي عنيت بدراسة الثقافة الشعبية التي لا تخلو ثنائياها من

التأثيرات المتبادلة للجانب الديني على المجتمع، حيث عملت على تمحيص التراث المعرفي الذي خلفته الدراسات الأجنبية و الوطنية، ثم استخدامه في فهم عقلية المغاربة و إعادة التوازن إلى مكونات و تراتبية الثقافة المغربية على اسس صحيحة تاريخيا و منهجيا.

يمكننا تصنيف هذه الدراسات تحت إطار نظرة الغرب للشمال الإفريقي، حيث كانت المنطقة شبه متحدة، و متشابهة جغرافيا و عمرانيا، و لا يسعنا أن نورد كل الدراسات المقامة على هذه المنطقة، إلا أننا نستطيع الجزم أنها انقسمت حسب أهدافها إلى دراسات إستشرافية و كولونبالية و أنجلوساكسونية، أما الاستشرافية فقد كانت مرتبطة بالفترة التي وجدت فيها و هي ما قبل الإستعمار حيث لعبت دور الإستطلاع و الإستكشاف كالدراسات الأنثروبولوجية المقامة على الجزائر قبل الإستعمار بأربعين سنة تقريبا، و التي أعطت تفسيرات و صور مزيفة للواقع حيث يرى أصحابها أن المجتمع المغربي يحتاج للتحضر و تحسين مستواه لكي يرتقي إلى مستويات المجتمعات الأوروبية. أما بالنسبة للدراسات الكولونبالية فهي جاءت لإثبات نظريات المستعمر، و حتى لو أوردت بيانات صحيحة فلا يمكننا تأكيدها، إذا ما نظرنا لايدولوجياتها التي كانت تسوغ لبقاء الإستعمار لا غير. حيث لم تهتم بالدين و إنما بمظاهره الخارجية، أما الدراسات الأنجلوساكسونية فتناولت الظاهرة من المنظور الوظيفي و اتسمت بالعلمية و الموضوعية إلى حد ما. (بنسعيد، 2014)

رابعاً- الدراسات الحديثة لطواهر الدين و التدين:

نحاول بهذا العنصر التعرف على عينة من الدراسات الحديثة و التي اهتمت بالدين و المجتمع، و التي سلط الباحثون فيها الضوء على خصائص تدين المجتمع المغربي، حيث جاء في الابحاث العلمية الأكاديمية مايلي:

1- الدين و المجال العام في تونس الإنفتاح الحذر و الإنغلاق المرن، للباحث شهاب اليحيوي، مداخلة لبحث ميداني جاءت بالمجلد الرابع في إطار دراسة معمقة للحالة الدينية في تونس، و ذلك عن طريق تحليل البيانات و المعطيات من خلال استمارة بحث تم تطبيقها على المجتمع التونسي، لبحث اشكالية حضور الدين في المجال العام سواء السياسي او الإجتماعي و كيفية تقبل التونسي لتوسع الدور العمومي للدولة و ما يتبع ذلك من ظهور فاعلين دينيين جدد و تغير في استراتيجيات تملك سلطة الفرد في اطار ما يعيشه هذا المجال العام من صراع، خاصة ما بعد الثورة. يهدف فيها إلى تحديد جملة عامة من ملامح التدين التونسي حيث تم التوصل إلى نتائج هامة من بينها (اليحيوي، 2019):

- رابط الفرد التونسي بالدين رابط حضاري و ثقافي، كمكون رئيس في الهوية الجماعية، و هو يرفض الراديكالية في بعدها الديني و غير الديني، ففي تقرير حالة الدين 2014، كانت نسبة التشدد تساوي 3 بالمائة، أما تقرير 2015 فتراجع الى 1.7 بالمائة، كما ان التونسي يقبل ولاية الدولة على الدين و يقر بمسؤوليتها في حماية الحقوق و الحريات الدينية يقبل العمومي و لكن لا يعني ذلك الهيمنة على المجال العام.
- حيث ان الفرد التونسي لا يتعامل مع كل الطقوس الدينية بنفس الكيفية او الصرامة، كما انه لا يعطي الثقة الكاملة بوسائل الإعلام و الدعاية بصفتها عمومية و حكومية لديه، اما عن موقفه من حضور الدين في المدرسة، فهو لا يرفض ان يكون للمدرسة دور اكبر في التكوين، و لكن ليست له الثقة الكاملة في تعاطي المدرسة لوحدها مع المسألة الدينية، اما عن تخصيص وقت و مكان لتأدية الطقوس، فهناك من يرى ان ذلك حق يمنحه صاحب العمل و هناك من يراها حق الفرد في تأدية طقوسه في مختلف الفضاءات سواء العام او الخاص، من جهة اخرى سجلت الدراسة ان لامذهبية تدين غالبية المجتمع التونسي، و حضور الدين في كل مستويات حياته ففي ذهن التونسي، هو يعتبره شأن خاص و يرفض ان يستحوذ على جميع مناح الحياة.

و أخيرا ترى الدراسة ان المبادئ الكونية للحدثة لا تتعارض مع الدين كما يروج له الطرف الآخر، كما ان المجال العمومي هو مجال للتنافس بين علمنة الديني و تدين العلمانية.

جاءت الدراسة في إطار توجه بحثي يسعى إلى دراسة الظاهرة الدينية في تعقيدها، يمثل كتاب الحالة الدينية في تونس 2011-2015، الذي أشرف على إنجازه و تحريره أستاذ علم الاجتماع بالمعهد العالي للعلوم الإنسانية بتونس (جامعة تونس المنار) منير السعيداني، ونشر ضمن إصدارات مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث سنة 2018، واحدا من أهم الإصدارات التي عرفت الساحة البحثية العربية، حيث ضم الفريق باحثين أكاديميين وغير أكاديميين من اختصاصات علم الاجتماع والتاريخ والعلوم السياسية والعلوم القانونية والعلوم الحضارية والثقافية... الخ. (القاسمي و آخرون، 2022)

و جمع الكتاب عدة مناقشات و سجلات حول البراديغم الديني و بحث مستويات التدين للمجتمع التونسي على خلفية تبعات الثورة و الإنتقالات السياسية و الإجتماعية التي طرحتها خلال هذه الفترة، واستطاعت هذه الدراسات

ان تصل إلى عمق المفاهيم الدينية لدى المجتمع التونسي و ما يحضر ذهنه من تمثيلات حول المشهد الديني بكل مكوناته و رصد مختلف التغييرات التي طالته و هو على مشارف حياة الحداثة.

2- كما انه لا يفوتنا أن نذكر تحليلات المفكرين و الفلاسفة التونسيين أمثال فتحي المسكيني حول الفرد في الإسلام و كانط و الإسلام، و غيره ممن شاركوا في الندوة العلمية المعنونة "مستجدات البحث في فلسفة الدين، قراءة نقدية/مقارنة" لمؤسسة مومنون بلا حدود، حيث أثير النقاش حول قضايا و إشكالات منحت إضافات و إثراءات لقاعدة المفاهيم و التأويلات التي تفسر البراديغم الديني، إلا أنها تخص الشأن العربي العام و لا تخصص مجتمعا مغاربيا بعينه

3- الدين و المجتمع: دراسة سويولوجية ميدانية للتدين بالمغرب، قام بها الأستاذ عبد الغني منديب (2006) ، تبحث في الكيفية التي يعيش بها الناس معتقداتهم الدينية في حياتهم اليومية و يهدف البحث الى الكشف عن طبيعة التحولات التي يعرفها الحقل الديني بالمجتمع المغربي القروي، من أجل فهم آليات الوجود و الاستمرار و التغيير، من خلال معرفة المنطق الداخلي و تحديد العلاقات و الروابط مع التنظيم الاجتماعي و الحس المشترك للقائمين.

انطلق الباحث من فرضيات استقاها من البحث الميداني، و هي عبارة عن مجموعة من التمثيلات تعبر عن نظرة المجتمع المغربي القروي للكون، استخدم منديب أدوات بحثية كالملاحظة و الملاحظة بالمشاركة، و المقابلة المعمقة، حيث طبقت الدراسة على مجال جغرافي يغطي 5 دواوير (5 جماعات قروية) فقيرة وسط المغرب بمنطقة تدعى : دكالة، حيث شملت 100 مقابلة مقسمة حسب الكثافة السكانية لكل جماعة قروية.

توصل الباحث عبر دراسته ، إلى مجموعة من النتائج ، بداية من تأكيد فرضية : أن الله قوة مشاركة لا مفارقة ، حيث يرى المجتمع المغربي ان الله هو الذي ينزل الأضرار بالبشر، و يظهر ذلك في مجموع الاوضاع السالبة و التي يعبر عنها بـ "المكتوب" من جهة اخرى فان الله هو الذي يمنح العطايا كتملك الاراضي و توفر المال و الزواج و الأولاد و التي تعد من الصور الموجبة للقدر وهي يعبر عنها بـ "السوب" .

كما دلل على تأكيد الفرضية الثانية من خلال نفس المنظور، حيث يرى المجتمع المغربي ان الدنيا مسرح للتغيرات الاجتماعية التي لا تخرج عن تحكم الله فيها أما بالنسبة للفرضية الثالثة فالنجاح الاجتماعي حسب المبحوثين، هو القدرة على تسخير كل الإمكانيات لإكتساب المصالح و تدعيمها اكثر مما يعني الإلتزام بمبادئ العبادة.

إلى جانب الحقائق و التفسيرات المهمة التي أضافتها الدراسة للحقل السوسيولوجي و الأنثروبولوجي على السواء، فقد كشف منديب عن خارطة جغرافية للممارسات الدينية عبر الأطر الشكلية التي تتم داخلها، الا و هي المساجد كمحل للممارسة المقدسة المجرد و التي تنتمي للتقاليد الدينية الرسمية، و الأضرحة كمحل للتقاليد الدينية المحلية و التي يمارس فيها المقدس الملموس، فمن خلال البحث الميداني توصل الباحث إلى بيانات مهمة حول اعدادها و كفاءات نشأتها و كذلك علاقات المشرفين على المساجد و خاصة مساجد الأضرحة بالمسؤولين و كيفية توجيه التدين و التحكم فيه عبر أولئك خوفا من تسربات الايديولوجيات الإسلامية الراديكالية، كما كشف الباحث عن اهمية الأضرحة في حياة المغاربة حيث يجعلونها مرجعهم كلما احدث القدر بهم نائبة او جميلا.

4- في دينامية التحولات الدينية، ظاهرة التدين الفردي نموذجاً، للباحث في علم الاجتماع الديني رشيد جرموني (المغرب)، و التي تم نشرها في شكل مقال له بمجلة مركز نهوض للدراسات و البحوث (2021)، بحث فيها المقترحات المنهجية و النظرية لفهم حجم التحولات التي لحقت بالحقل الديني في المنطقة من اجل تحليل ظاهرة التدين الفردي التي طالت المنطقة، انطلاقاً من فرضية مفادها أن ظهور التدين الفردي يرتبط بعوامل خارجية كعولمة الظاهرة الدينية، و عوامل داخلية كارتفاع الرأسمال المعرفي و فقدان الثقة في المؤسسات الدينية الرسمية و حركات الإسلام السياسي .

اعتمد الباحث على المنهج الإمبريقي ولأن الموضوع يتعلق بالقيم فإن الباحث جمع بين الأدوات الكمية و الكيفية للوصول إلى نتائج معمقة عن الظاهرة، مستلهما من المنظور الأنثروبولوجي بدراسته للحالات الخاصة للظاهرة .

توصل الباحث إلى نتائج مهمة منها ان بروز ظاهرة التدين الفردي جاء كرد فعل في شكل احتجاج على التدبير الديني للمجتمع (خضوع المؤسسة الدينية لسياسة الدولة)، حيث عجزت الدولة بكل مؤسساتها عن تأطير المعرفة الدينية و خاصة بالنسبة للفئة الشابة ، ما أنتج عدة مخاطبين و فاعلين في الحقل الديني افرز "تشظي معرفي" للمعرفة الدينية مما أنتج عدة انماط للتدين لا يمكن حصرها و لا التفريق بينها، و تعد الدراسة من الدراسات الحديثة و المهمة لظاهرة التدين حيث أعطت لنا صورة مفصلة عن حالة التدين الفردي كيفية تشكله و توسعه على فئة كبيرة من الشباب.

5- تقرير عن الحالة الدينية في ليبيا: حيث يركز على القطاع الديني في ليبيا وتأثيره على الوضع الحالي ، اعتمد فيه على نتائج استبيانان اجراهما معهد الولايات المتحدة للسلام (2014- 2016) قامت بتأليفه بلوشة لنا كاكور كبيرة

مسؤولين برامج الدين و المجتمعات التضمينية بالمعهد و الزهراء لنقى باحثة في الدراسات الإسلامية بليبيا، يناقش التقرير الدور الذي يلعبه الدين في الحكم و الهوية الوطنية و كذا قضايا السلام والإصلاح الاجتماعي، حيث تم اختيار 13 سؤالاً تم طرحها على عينة مختارة بعناية من المسؤولين، الفاعلين السياسيين و الاجتماعيين وعلى الزعامات الثلاث في البلاد، لمعرفة الجهات الفاعلة في القطاع الديني ، ودور الدين الحالي و المستقبلي في احلال السلام والعدالة لليبيا.

توصل البحث الى جملة من النتائج المهمة توضح الملامح الدينية للفرد الليبي ، حيث اعرب ثلثي المبحوثين و اكثر عن الدور السلبي الذي تقوم به تلك الزعامات، كما توصل المبحوثون الى ايجاد قرابة 150 شخصية دينية مؤثرة وهذا يدل على تنوع القيادة الدينية اللامركزية حسب التقرير ذاته، و التي يمكن دعمها من أجل إحلال السلام، أما عن أكثر التوجهات الدينية بروزا فكانت : السلفية ، الإخوان المسلمون، الجهاديون، وهي متداخلة و معقدة و ديناميكية، أما عن اكثر الزعامات نفعا حسب التقرير هي الزعامات الممتدة من التراث حيث يمكنها ان تلعب دورا ايجابيا في دعوة الليبيين إلى السلام، اما بالنسبة للأحزاب السياسية الليبية فمازالت تلعب دورا أساسيا في الحياة العامة ، اما المفتي و دار الإفتاء فيرى المبحوثون انهم يتجاوزون حدود الإختصاص الديني إلى السياسي و حتى الإصطفافات الحزبية. (لنقى، 2017)

ننوه الى ان التقرير يأتي وسط ضعف استقرار أمني و اضطراب سياسي كبير تمر به البلاد، حيث ان الدراسة لاقت صعوبات كثيرة على مستوى البحث الميداني .

6- كما لا يفوتنا ان نذكر الإسهامات المهمة التي جاء بها نور الدين طرابلسي الجزائري الجنسية، الباحث في الأنثروبولوجيا التحليلية و علم النفس الثقافي، و التي عكف فيها حول المسائل التربوية والدينية، وموضوع الهوية في حالة التغير الاجتماعي الثقافي في المغرب العربي، كما كان متخصصا في مسائل المغرب العربي والتغيرات الاجتماعية السريعة.

أما بالنسبة لرسائل الدكتوراه ، فنذكر الدراسات التالية:

1- الدين و جودة الحكامة في الجزائر (2014)، قام فيها الدكتور مصطفى راجعي بدراسة مسحية إجتماعية، في معالجة لأثر المجموعات الصوفية و السلفية على جودة الحكامة، انطلاقا من مفهوم ثقافة جودة الحكامة التي تتكون من مجموعة من المواقف و السلوكات المشتركة في مجتمع معين المؤثرة ايجابا و سلبا في أبعادها الأربع، المدني ، القانوني، الإقتصادي، الجندري، حيث طرح مشكلته البحثية الأساسية بالشكل التالي: ما هو تأثير الانتماء إلى المجموعات التدينية على مستوى تبني ثقافة مشجعة على الحكامة ذات الجودة العالية في عيادها المختلفة في المجتمع الجزائري؟

الدراسة سوسيولوجية استخدم فيها الباحث منهج المسح الاجتماعي، و نظرا لعدم وجود قاعدة بيانات حول الجماعات التدينية لجأ الباحث لطريقة المعاينة الطوعية للحصول على عينة ملائمة تحتوي على نسب متباينة من الجماعات الدينية كما انه استعان بافراد يرتادون قاعة مطالعة دينية تابعة لأحد المساجد نظرا لإحتمال تواجد السلفيين، كما استخدم الإستمارة و المنهج الإحصائي الوصفي الإستدلالي بمستوياته الثلاث التحليل الأحادي، الثنائي اي تحليل الارتباط، و المتعدد المتغيرات اي تحليل الانحدار المتعدد، حيث اخرجت النتائج في شكل أرقام إجابة للأسئلة المطروحة .
توصل الباحث إلى نتائج اهمها ان التدين في شكله السلفي يعارض المساواة الإقتصادية الجندرية بينما يؤيدها التدين الصوفي، كما يتحكم كلا الجنسين في المواقف المؤيدة أو المناهضة لهذه المساواة بهذه الجماعات الدينية، من جهة أخرى يزيد الإرتقاء في سلم الأجور من مستوى تأييد حقوق النساء داخل المجموعات الدينية، كما يفسر التدين نسبة 44 بالمائة من مستوى مواقف الجنسين مما يثبت لنا فكرة تأثير الإتجاه الديني على رؤية مكانة الآخر، كما تلعب المتغيرات الديمغرافية دورا بقدر بنسبة 6 بالمائة في تعديل الإتجاهات الدينية .
اما بالنسبة للبحوث العلمية التي جائت في شكل رسائل ماجستير فنذكر منها:

1- ثقافة التدين لدى الشباب بين الاندماج الاجتماعي و الاندماج الجماعتي، رسالة ماجستير نشرت في كتاب سنة 2020 (الجزائر) ، للباحث عبد الفتاح بودرمين، دراسة للتدين الجماعتي جماعة السلفية و جماعة الإخوان، يستهدف بعض التمثلات و الصور الذهنية المنتشرة بين اوساط الشباب المتدين على الطريقتين، بإستخدام الإقترب التحليلي المنهجي في تحليل ظاهرة التدين.

توصل الباحث إلى نتائج نذكر منها : ان مفهوم الإلتزام عند جماعة السلفية مرتبط بإعتنائهم بسنة السلف، حيث يقر نصف المبحوثين أن الهدام هو إحياء لسنة السلف و هذا ما يخالف الفكر الإخواني فمسألة الهدام لديهم متغيرة بحسب

الأحوال و البيئات، فالتمثيلات عن طريق الهندام عند السلفية هي تكريس لعقيدة الولاء و البراء ، حيث ان الصورة هي لغة رمزية تدل على معنى خاص يمثل تناغم الجماعة وسط مجتمعها مهما كان نوعه او صفته فهي تفرض وجودها بذلك اللباس المعبر عنها، و السلفية بالنسبة لمعتنقيها ليست فكرا و حسب بل هي منهج حياة ، حيث يدعوها ب"الإسلام المصفي" او "الفرقة الناجية"، من تقاليد الغرب و"عادات المشركين" أما عند الإخوانيين فيرون السلفية مرحلة زمنية مباركة ، كما يرون فيها الفهم السطحي و الحرفي للنصوص و الميل للتمسك بالثانويات، اما الإخوانية في نظر السلفية فهي فرقة مبتدعة تتبع العقل و المنطق و الدين بعيد عن هذا.

استخدم الباحث باراديجم تاكلوت بارسونز في تحليل الفعل الديني وفق رؤية عصرية بنظرة جديدة للتعاليم الإسلامية و توصل الى نتائج مهمة أعطت لنا الصفات العامة للجماعات الدينية في الجزائر و كيفية اندماجها في الوسط الحضري

2 - الدين و مظاهر التدين في الأسرة الجزائرية ، عبارة عن رسالة ماجستير في علم الاجتماع تخصص الأنثروبولوجيا للسنة الجامعية 2011-2012، من إعداد الطالبة دقيشان أسماء من كلية الآداب و العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية معهد علم الاجتماع قسم أنثروبولوجيا الجزائر المعاصرة جامعة السانية مدينة وهران، حيث تبحث الدراسة كيفية التي يمارس بها الناس معتقداتهم في الحياة اليومية داخل الاسرة الجزائرية، مقابل التحولات التي يعرفها المجتمع الجزائري و الحقل الديني ، لكشف الروابط و تحديد العلاقات القائمة بين المتغيرين .

اعتمدت الدراسة حسب الباحثة على المنهج الكمي المؤسس على الاستبانات، حيث استخدمت 130 استمارة بحث تم توزيعها بشكل عشوائي على الأسر و الأفراد، كما استعانت بأداة الملاحظة و الملاحظة بالمشاركة، كما اعتمدت الدراسة على اسلوب التحليل و التأويل خلال المعالجة التي بداتها منذ الفصل الثاني و الى نهاية الرسالة . تطرقت الباحثة لموضوع الحجاب و آراء المبحوثين في طريقة لباسه، كما تعرضت بالدراسة للممارسات اليومية و للتدين كالصلاة و قراءة القرآن و التسبيح و الإستغفار، و الممارسات الموسمية كصلاة التراويح و زيارة البقاع المقدسة، كما تطرقت للممارسات الظرفية كزيارة الأضرحة كما ناقشت الدراسة مواضيع مهمة كالإختلاط بين الجنسين و القنوات التي يشاهدها الأبناء.

ساهمت الدراسة في الإطلاع على طريقة تحليل الممارسات الدينية في المجتمع، حاول فيها الى الوصول الى عمق الإعتقادات السائدة و الصور الذهنية القارة في المجتمع حول ظواهر التدين و تمثلاته.

3- التدين في أوساط الشباب الحضري، رسالة ماجستير في علم الاجتماع الحضري تخصص مدن و ثقافات للسنة الجامعية 2015-2016، من إعداد الطالب هنوس نادر من كلية العلوم الاجتماعية قسم علم الاجتماع جامعة السانية مدينة وهران، حيث يتمثل الهدف المحوري للبحث في محاولة للوصول بحقيقة معنى التدين السلفي في تماسه مع الحياة الحضرية و الاجتماعية محاولة الوصول إلى فهم سوسيولوجي للتدين الإسلامي المعاصر و أبعاده الأنثروبولوجية و الفلسفية .

اعتمدت الدراسة حسب الباحث المنهج الكيفي مدعما بالمنهج التاريخي و التحليلي الوصفي و برؤية شاملة للمنهج الأنثروبولوجي، مع استخدام أدوات جمع المادة كالملاحظة المباشرة لسلوك الجماعة السلفية و ذلك بالتواجد مع الشباب السلفي في المساجد و حولها و في مختلف الأحياء و الفضاءات، الإستعانة بعدد من الإخباريين لجمع بيانات تاريخية وبيانات حول أنماط السلوك، و كذلك استخدام للمقابلات الفردية و الجماعية، تم تطبيق هذه الأدوات على عينة كرة الثلج، بطريقة قصدية غير احتمالية .

توصلت الدراسة إلى نتائج مهمة منها: ان انماط التدين الشبابي تنقسم إلى تدين رسمي متمثل في المؤسسة الرسمية وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف مقابل المؤسسة الصوفية الحرة بصفتها الغير رسمية ، و نمط التدين التقليدي المتمثل في الزاوية والأضرحة ، و نمط التدين الشعبي الذي يقوم على الإعتقاد بالأولياء و الصالحين و ما يملكون من بركات و مواهب ربانية اكتسبوها من خلال تقربهم للذات الإلهية، و نمط التدين الحضري الذي أقر الباحث انه نمط جديد يتميز بالحدثة و لم يتعرض بالدراسة المعمقة في الجزائر.

يقر الباحث ان تدين السلفية يقلل من فرص المواطنة لديهم ، فالسلفية تجد بيئتها الطبيعية في اطراف المدينة والريف و البادية حيث المؤثرات الأجنبية ضعيفة عكس المدينة مركز التبادل الثقافي و التفاعل الحضاري، أما عن وقت فراغه فيفضيه عادة في نشاطات بناءة حيث تتصف حياة السلفي بالتنظيم و التخطيط حيث يتواجد عادة في حيز المساجد حتى أنشطته الإقتصادية تكون مرتبطة بها عكس شباب الحي الذين يتواجدون عادة بالمقاهي، كما انهم يتخذون نمطا موحدا صارما في تطبيق شعائر الدين حيث تطبع ممارساتهم في الفضاء العمومي صفة "الطهرانية الخالصة" اذ يعتبرون انفسهم الفرقة الإسلامية الناجية.

4-كما نذكر بنفس الصدد دراسة جفال نور الدين، مقارنة انثروبولوجية للسلفية دراسة ميدانية مقارنة و تحليل انثروبولوجي مسجد الفرقان بعناية انموذجا، 2003-2004 الجزائر، حيث استطاع ان يصل إلى عمق ظاهرة السلفية باستخدامه للمنهج المتعدد المداخل تحليل و تركيب و مقارنة بين البعد السلوكي والإعتقادي و النقلي لمؤشرات الفكر السلفي.

III- النتائج ومناقشتها :

بعد الإطلاع على مجموعة من الدراسات المحدثة ، يمكننا ان نستخلص النقاط التالية :

1- على مستوى استخدام المصطلحات و المفاهيم :

لا تختلف مجمل الدراسات في التمييز بين استخدامات مصطلحي الدين و التدين، وكذا باقي المفاهيم المرتبطة بهما، حيث أن التاريخ المشترك للظاهرة الدينية جعلها تتطور في اتجاهات متقاربة، فمفهوم التطرف مثلا كظاهرة فكرية قبل أن تصبح إجتماعية و سياسية، مست كل أنحاء دول المغرب العربي و ظهرت في شكل جماعات دينية ترى ان الدين هو ما تتبعه لا غير، و هو المفهوم الأول الذي تتفق عليه جل الدراسات، و ذلك على خلفية الدين الواحد للمنطقة و تبعات الحكم السياسي و طبيعة الشعوب المغاربية التي تتجه إلى تبني الحلول الدينية و الارتباط العاطفي بالتاريخ الإسلامي.

أما الكلمات المستخدمة الاخرى ذات الدلالات الأكاديمية المعروفة، كـالمقدس، الكرامات، الزعامات، الأولياء الصالحون، الأضرحة، الزوايا، طقوس العبور، الشعائر، التبرك، فقد استخدمت بنفس التفسيرات و المعاني تقريبا، و ليس هناك في الأمر غرابة ما دام للشمال الإفريقي تاريخ مشترك في الدين و اللغة و الثقافة و حتى الأقليات، كما لا ننفي وجود بعض الكلمات الجزئية الخاصة ببعض اللهجات، ككلمة "السوب" في المغرب و ما يقابلها من كلمات مختلفة في بلدان المغرب العربي، و التي لها علاقة بالاختلافات الموجودة على مستوى التمثلات و الممارسات التي يتسم بها كل مجتمع بحث، و التي نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر؛ اهتمام الفرد التونسي بشعيرة الصلاة أكثر من اهتمامه بشعيرة الصوم و العكس صحيح بالنسبة للمغرب .

2- على مستوى استخدام الخلفيات النظرية :

تلعب المداخل النظرية دورا مهما في وضع هيكليات البحوث و في استخراج الفرضيات و المؤشرات، كما تساعد الباحث في اختيار المنهج المناسب، وكذا التفسير العلمي لنتائجه، أما بالنسبة للنظريات العلمية فقد تعدد استخدام النظرية الوظيفية، لتناسبها مع غايات البحوث الاساسية في معرفة وظيفة البناء الديني و علاقته بالبناءات الأخرى، و كذا النظرية التطورية التي ساعدت الباحثين في تتبع خط التطور المجتمعي في ممارساته و تمثلاته الدينية، القائمة على قوانين التغير الإجتماعي و الثقافي، دون ان ننسى نظريات الرمز و الفعل لما لها من أهمية لمعرفة تموقع الذهنية الدينية من حياة الأفراد.

أما بالنسبة لاستخدامات التراث النظري ، نلاحظ أن هذه الدراسات اعتمدت على التحليلات الأولية للدين في الشمال الإفريقي كدراسات سابقة و مداخل تفسيرية للظاهرة الدينية في المغرب العربي، نذكر منها : ألفريد بيل لكتابه الإسلام في بلاد المغرب، فستر مارك و ادموند دوتي اللذين ذكرا آفأ، جورج دراك الذي عمل على المجتمع المغربي و وضع كل حركاته الدينية في إطارها التاريخي، جاك بيرك و بيار بوريو كليفوردي غيرتز و غيرهم من الغرب الذين استهواهم سحر الديني في الشمال الإفريقي، حيث قدموا تراثا نظريا و ميدانيا مهما بناءا على خلفياتهم و غاياتهم من البحث في شعوب لا تخصصهم، و لا ينفي اي باحث الفائدة العلمية التي قدمتها أبحاثهم، و التي أثرت التراكم المعرفي في موضوع الدين بالبلدان المغاربية.

أما بالنسبة للخلفيات الأكاديمية للباحثين، فموضوع دراسة ظاهرة التدين في البلدان المغاربية، قد استهوى تخصصات، علم الإجتماع و الأنثروبولوجيا، الفلسفة و علم النفس، حيث يجمع المفكرون ان الظاهرة لها أبعاد؛ نفسية و اجتماعية و ثقافية و فلسفية، لا يمكن لكل تخصص ان يعمل لوحده لفك أغوارها و التعمق فيها، مما يجعلها ظاهرة عابرة للتخصصات يشترك في دراستها كل العلوم الإجتماعية و الإنسانية.

3- على مستوى المواضيع :

اهتمت الدراسات عموما بأنماط التدين : الفردي، الشعبي، السياسي، إلا انها لم تطل كل الأنواع الحديثة من التدين كالتدين الحضري، و اتجه قسم آخر من الدراسات إلى بحث التدين الجماعتي، اي ما يأتي في شكل فئات و مجموعات دينية، كما اهتم البعض منها بتشخيص ملامح الحالة الدينية العامة التي تعتمد على دراسة التمثلات و الممارسات الدينية، و إعطاء صورة عن المقدس الديني في المخيال العربي المغربي.

4- على مستوى المناهج:

بعد إلقاء نظرة للمناهج المستخدمة، لاحظنا تغلب استخدام المنهج الكمي، حيث طال هذا المنهج متغيرات صعبة، كتمثلات القيم الدينية، التي تعرضت للتحليل السوسيولوجي و توصل الباحثون إلى وضع أرقام و نسب لها، كما سجلنا في قسم آخر استخدام المنهج الإثنوغرافي الذي يعتمد علماء الأنثروبولوجيا بجميع ادواته، إلا انه كان قليلا مقارنة بأهميته العلمية و المنهجية، حيث يعد هذا المنهج الأنسب في دراسة البحوث القيمية، وخاصة الدينية منها، وهذا ما نادى به غيدنز و أركون و غيرهم، كما لاحظنا استخدام المنهج التاريخي بشكل متكرر و الذي كان بمثابة ضرورة لا مفر منها في كل دراسة، حيث أن التمهيد التاريخي للحالة الدينية عبر التاريخ لدول المغرب العربي و الحركات الإصلاحية الدينية المرتبطة بها، يسهل على الباحث إقامة العلاقات و الروابط بين متغيرات الظاهرة في بعدها التاريخي، كما سجلنا استخدام منهج دراسة الحالة و المنهج المقارن، و التي تعد من الأساليب البحثية المهمة للدراسات المعاصرة و خاصة ما يتعلق بالجماعات الدينية أو الشخصيات الدينية.

5- على مستوى النتائج :

توصل الباحثون الى جمع بيانات مهمة حول الطريقة التي يتدين بها المجتمع المغربي، من خلال تحليل ذهنية الجماعات الدينية وكيفية تشكلها و كيفية تحقيق الاندماج الاجتماعي مع مجتمعاتها الأصلية، كما توصلت البحوث الى تشخيص حالة الأنماط الدينية السائدة و مختلف مميزاتها في كل مجتمع، كما ساهمت في إثراء تاريخ الموروث الديني و تمحيصه لإكتشاف عقلية المجتمع و ميكانيزمات عمله، للوصول إلى تصوير مشهد واقع الحالة الدينية المعاشة و تمثل الديني في مختلف الأوساط و البناءات.

6- على مستوى خلفية الدول وخصوصياتها الثقافية :

تونس: تميزت الدراسات بالطابع الفلسفي للتحليل و التأويل، و الولوج إلى مرحلة تحليل العقل الديني للمجتمع، فالدولة تخرج من أزمة سياسية شائكة -الثورة الشعبية 2011-، جعلتها تدخل في مرحلة بناء فكري و إعادة ترتيب المعطيات من أجل سن قوانين مناسبة للمجتمع و متطلباته، ما تطلب حشد مختلف المحاولات للإجماع على تحديد دور "الديني" في هذا البناء، و نلاحظ ذلك من خلال تنوع تخصصات الباحثين في شتى المجالات الإنسانية، التشريعية و الفلسفة و التاريخ من أجل الإنلشاف حول هدف واحد.

الجزائر : تغلب على المواضيع، الاهتمام بموضوع التدين الجماعتي، أي دراسة الجماعات الدينية المختلفة، حيث عاشت الجزائر مرحلة تطرف ديني أدت إلى مخلفات فكرية دينية غير واضحة المعالم، و إلى تناحر اجتماعي و سياسي مس الطبقات السفلى للمجتمع و أسفر عما سمي بظاهرة "الإرهاب"، كما سمح لظهور فرق دينية وصلت بعضها إلى استخدام السلاح لإثبات وجهة نظرها، مما أدى إلى تركيز البحث الاجتماعي لمعرفة الأسباب المؤدية لتشكيل الجماعة الدينية و الاندماج الاجتماعي لها، و حالة المجتمع ككل في تواجدها، للوصول إلى إستكشاف و تشخيص الوعي الجماعتي و كيفية تأثيره على أفراد المجتمع .

المغرب: تغلب على المواضيع ، دراسة أنماط التدين و الواقع الديني المغربي، حيث تهدف جل الدراسات إلى التعرف على الوعي الديني للمجتمع، و هو من المطالب الأساسية لكل دولة تهتم بفهم كيفية إشغال العقل الديني . ليبيا: يظهر لنا من خلال التقرير الموجه لدراسة الحالة الدينية، لمعرفة تأثير النماذج الدينية فيها من أجل التحكم في وضعها الفكري، أن الوضع الأمني الغير مستقر يؤثر على نوعية البحوث الدينية مواضيعا و منهجا و حتى في نتائجها، حيث يصبح الأمر جد حساس بالنسبة للجهتين ، المنظمة للدراسة و المبحوثة، و عليه فقد جاءت الدراسة لتؤكد فكرة ان الوضع الدين الحالي الذي يزعم الإعتماد على نماذج معينة، غير مناسب لا سياسيا و لا اجتماعيا حيث تم رفضه من كافة الأطياف .

IV- الخاتمة:

يسعى هذا العمل المتواضع لجمع قسم مهم من التراث النظري لدراسة الدين في بلدان المغرب العربي، في محاولة لتمحيصه وإعطاء بعض الملاحظات العلمية عليه، و لانجزم قطعاً أنها الدراسات الوحيدة المنجزة، بل هي عينة ممثلة لما هو موجود في ساحة البحث العلمي العربي، إلا أننا نستطيع الجزم ان هذه الدراسات تعد من البحوث الإستكشافية الأولى لنقد العقل الديني الجمعي العربي، و محاولة البحث لإستكشاف مستوى تطور الوعي الديني و مختلف التمثلات الدينية في المخيال الجمعي، حيث لا يفوتنا التنويه بما يواجهه الباحث الاجتماعي العربي، من عقبات منهجية و موضوعية في دراسته لموضوع التدين في البلاد العربية، أما الموضوعية فالعام و الخاص يرى ان الدين واحد، و لم يتغير على مر الأزمان، و اما المنهجية ففكرة طرح السؤال العلمي لبحث الحالة الدينية للمجتمع جراءة كبيرة تصل حد التجريم الاجتماعي، لذلك فإن موضوع بحث التدين في المجتمع العربي لا يزال محل إعتراض و نقد شعبي .

و جدير بالذكر ان غاية الغايات في البحث العلمي تتجلى في تلبية حاجيات المجتمع الثقافية و التي تجعله في انسجام و تناغم مع بيئته، حيث أن تراجع دور الدولة العربية في انتاج القيم الدينية و حتى الحفاظ عليها، جعلها في حاجة ماسة لفهم المتطلبات الثقافية و الإجتماعية و الوصول إلى كفاءات تلبيتها لإعادة وضع "الديني" في محله، لذلك فإن مساهمة هذه الدراسات في إثراء المعارف السوسيوأنثروبولوجية الدينية كانت كبيرة و لنقل قاعدية و معددة لطريق لا يزال طويلا، بغية الوصول إلى الزخم المفاهيمي و التشبع المعرفي حول طبيعة التدين في المجتمع المغربي، ومن ثم الإنطلاق إلى وضع خطط جادة لمساعدة المجتمع على تلبية حاجته الدينية في وسطه الحالي دون تطرف او تخل عن أصوله، و ذلك على خلفية توصيات المفكرين والباحثين العرب ذاتهم و ليس الغرب.

إلا ان هذه الجهود لا تعد كافية في الوقت الحالي، الذي أصبح الإهتمام فيه بالظاهرة الدينية من أولويات الغايات السياسية المحلية و العالمية، لما لها من دور ايجابي في تحريك عجلة التنمية الإنسانية، مقابل ما تجره معطيات الحداثة من أضرار على تراتبية السلم القيمي بل و على اندثار بعض القيم المهمة لتطور الشعوب بناءا على ثقافتها المحلية، حيث تتجه الحداثة في مسار عالمي خفي الى فقدان الهوية الدينية للمجتمعات و من ثم التماهي الكامل لثقافتها.

مراجع المقال:

- 1- المغرب العربي Consulté le 11 15, 2022, sur <https://www.marefa.org/> المعرفة. (2019, 09 19).
- 2- https://arz.wikipedia.org/wiki/شمال_افريقيا Consulté le 09 17, 2022, sur [wikipedia](https://arz.wikipedia.org/wiki/شمال_افريقيا). (2022, 03 14). صفحة مناقشة :
- 3- العثماني، ا. (2016). (التنظيم الاجتماعي و الديني لبلاد المغرب قبيل الفتوحات العربية الإسلامية. دورية كان التاريخية عدد. 10-18, pp. 32
- 4- الدين، ه. س. (2008, 01 16). الدين و التدين من منظور الأنثروبولوجيا الإجتماعية و الثقافية. مجلة الواحات للبحوث و الدراسات العدد. 02, p. 03
- 5- الرازي، م. ب. (1990). مختار الصحاح. (éd. 04). الجزائر: دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع
- 6- توري، س. م. (s.d.). مراحل مفهوم التدين في الفكر الإسلامي. p. 20.
- 7- سنجق، ر. (2019). (تعريفات إسلامية Consulté le 01 12, 2021, sur <https://mawdoo3.com> موضوع
- 8- إيزار، ب. ب. (2006). معجم الأنثولوجيا و الأنثروبولوجيا (éd. ط). (1م). الصمد (Trad.). بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع مجد.
- 9- محمد عبد الله الدراز. الدين . بحوث مهمة لدراسة تاريخ الأديان . الكويت. دار القلم. ص 52
- 10- فراس السواح (1992). دين الإنسان بحث في ماهية الدين و منشأ الدافع الديني . المملكة المتحدة. مؤسسة هنداوي. ص 305
- 11- وليام، ج. ب. الأديان في علم الاجتماع (éd. ط). (1ب). ع. بدران (Trad.). لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع.
- 12- دالادريسي، ل. (2010, 03 11). المحور فلسفة علم الاجتماع علم النفس Consulté le 01 13, 2021, sur <https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=207163> : المتمدن
- 13- انتوني، غ. (2001). علم الاجتماع مع مدخلات عربية. (بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
- 14- هادية، ع. ب. (1991). القاموس الجديد للطلاب. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- 15- داود، ع. ا. (2009). تحولات التدين في المجتمع السعودي. الرياض: غيناء للنشر
- 16- المتروك، ن. (2007). ماي. (25) نهاية التدين و مابعد التدين. صحيفة الوقت البحرينية، العدد. 459
- 17- باتشي، س. ا. (2011). علم الاجتماع الديني. ابو ظبي: هيئة ابو ظبي للثقافة و التراث.

- 18- خليل, ص. م. (2012, 05 18). *سودانيلي*. Consulté le 09 2022, 12, sur <https://www.sudaress.com/sudanile/40252>.
- 19- منديب, ع. أ. (2006). *الدين و المجتمع دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب*. الدر البيضاء -المغرب :افريقيا الشرق.
- 20- لخوفي, ج. *التدين المغربي في الدراسات الأجنبية :تأثير المقاربة و ال"ار المنهجي على نتائج الأبحاث*. جامعة محمد الخامس بالرباط :منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط.
- 21- بنسعيد, د. أ. (2014, 05 27). *ملاحظات حول الدين و التدين في المجتمع المغربي*. Consulté le 10 03, 2019, sur [مؤسسة مومنون بلا حدود :قناة مومنون](https://www.moussine.com).
- 22- اليحيوي, ش. (2019, 01 08). *الدين و المجال العام في تونس الإنفتاح الحذر و الإنغلاق المرن*. *الدين و المجال العام في تونس*. تونس :مؤسسة مومنون بلا حدود.
- 23- القاسمي, ر. &., آخرون. (2022, 31 10). *الحالة الدينية في تونس 2011-2015 دراسة ميدانية تحليلية :إعادة رسم لتاريخ الدين والتدين في ظل الدولة ما بعد الاستعمارية*. *مجلة انسانيات المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا و العلوم الإجتماعية* : DOI : <http://journals.openedition.org/insaniyat/26657> ; <https://doi.org/10.4000/insaniyat.26657>
- 24- لنقى, ب. ل. (2017, 03). *القطاع الديني في ليبيا و جهود إحلال السلام*. ليبيا :معهد الولايات المتحدة للسلام.